الصباح الإسلامية
09
إعداد : ياسر السيد
العدد 2360 - السنة الثامنة
الأحد 30 ربيع الأول 1437 - الموافق 10 يناير 2016
Sunday 10 January 2016 - No.2360 - 8th Year

أوصى به النبي ورفض الشهادة على تفرقة تمت في عهده

العدل بين الأبناء .. في المنع والعطاء

في السنن ومسند أحمد وصحيح بن حبان من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اعدلوا بين أبنائكم اعدلوا بين أبنائكم اعدلوا بين أبنائكم).

وفي صحيح مسلم أن امرأة بشير قالت: انحل ابنك غلامًا وأشهد لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني بنت فلان سألتني أن أنحل ابنها غلامًا قال: له أخوة قال نعم قال كلهم أعطيتهم ما أعطيته قال لا قال: فليس يصلح هذا وإني لا أشهد إلا على حق، وفي رواية لا تشهدني على جور.

وفي الصحيحين عن النعمان بن بشير أن أباه أتى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني نحلت ابني هذا غلامًا كان لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ولدك نحلت مثل هذا قال لا: فقال: أرجعه وفي رواية لمسلم فقال فعلت هذا بولدك كلهم قال: لا قال: اتقوا الله واعدلوا في أولاكم فهذا أمر تهديد لا إباحة فإن تلك العطية كانت جورًا بنص الحديث وروى عن أنس رضي الله عنه أن رجلا كان جالسًا مع النبي صلى الله عليه وسلم فجاء ابن له فقبله وأجلسه في حجره ثم جاءت ابنه له فأخذها فأجلسها إلى جنبه فقال: النبي صلى الله عليه وسلم فما عدلت بينهما

وكان السلف رحمهم الله يستحبون أن يعدلوا بين الأولاد في الصلة وفي كل شيء، وقال بعض أهل العلم إن الله سبحانه وتعالى يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده فإنه كما أن للأب على ابنه حقا فإن للابن على أبيه حقا، كما قال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ كما قال الله تعالى: ﴿ قوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ فوصية الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بآبائهم قال تعالى: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ ﴾ فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه وأهمله فقد أساء إليه غاية الإساءة وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسنته فأضاعوهم صغارًا فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارًا.

ولهذا عاتب بعض الآباء ولده على العقوق فقال: يا أبتي إنك عققتني صغيرًا فعققتك كبيرًا وأضعتني وليدًا فأضعتك شيخًا، انتهى من تحفة الودود بأحكام المولود لابن القيم. وعن أبي أيوب بن موسى بن عمر بن سعيد بن العاص عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما نحل والد ولده من نحل أفضل من أدب حسن رواه الترمذي، والنحل العطاء والإحسان.

أولى الناس ببرك وأحقهم بمعروفك أولادك:

فإنهم أمانات جعلهم الله عندك ووصاك بتربيتهم تربية صالحة لأبدانهم وقلوبهم وكل ما فعلته معهم من هذه الأمور دقيقة وجليلها فإنه من أداء الواجب عليك، ومن أفضل ما يقربك إلى الله فاجتهد في ذلك واحتسبه عند الله فكما أنك إذا أطعمتهم وكسوتهم وقمت بتربية أبدانهم فأنت قائم بالحق مأجور فكذلك بل أعظم من ذلك إذا قمت بتربية قلوبهم وأرواحهم بالعلوم النافعة والمعارف الصادقة والتوجيه للأخلاق الحميدة والتحذير من ضدها فالآداب الحسنة خير للأولاد حالا ومالا ومن إعطاءهم الذهب والفضة وأنواع المتاع الدنيوي لأن بالآداب الحسنة والأخلاق الجميلة: يرتفعون وبها يسعدون وبها يؤدون ما عليهم من حقوق الله وحقوق العباد وبها يجتنبون أنواع المضار وبها يتم برهم لوالديهم أما إهمال الأولاد فضرره كبير وخطره خطير أرأيت لو كان لك بستان فتعهته حتى استتمت أشجاره وأينعت ثماره وتزخرفت زروعه وأزهاره ثم أهملته ولم تحفظه ولم تسقه ولم تنقه من الآفات وتعده للنمو في كل الأوقات أليس هذا من أعظم الجهل والحمق فكيف تهمل أولادك الذين هم فلذة كبدك وثمرة فؤادك ونسخة روحك والقائمون مقامك حيًا وميتًا والذين بسعادتهم تتم سعادتك وبفلاحهم ونجاهم تدرك بهم خيرًا كثيرًا ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ انتهى من بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار للشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى.

من حسن إسلام المرء .. تركه ما لا يعنيه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من حسن إسلام المرء: تركه ما لا يعنيه)) حديث حسن؛ رواه الترمذي وغيره

منزلة الحديث:

هذا الحديث عظيم، وهو أصل كبير في تأديب النفس وتهذيبها، وصيانتها عن الرذائل والنقائص، وترك ما لا جدوى فيه ولا نفع[1].

قال ابن رجب رحمه الله : هذا الحديث أصل من أصول الأدب[2].

قال حمزة الكناني رحمه الله : هذا الحديث ثلث الإسلام[3].

قال ابن عبدالبر رحمه الله : كلامه هذا صلى الله عليه وسلم من الكلام الجامع للمعاني الكثيرة الجليلة في الألفاظ القليلة، وهو ما لم يقله أحد قبله، والله أعلم[4].

قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله : وهذا الحديث ربع الإسلام على ما قاله أبو داود، وأقول: بل هو نصف الإسلام، بل هو الإسلام كله[5]

شرح الحديث:

((من حسن إسلام المرء: تركه ما لا يعنيه)): أي: من جملة محاسن إسلام الإنسان، وكمال إيمانه: تركه ما لا يُهمه من شؤون الدنيا، سواء من قول أو فعل.

قال ابن تيمية رحمه الله : ولا سيما كثرة الفضول فيما ليس بأمره إليه حاجة من أمر دين غيره ودنياه[7]: اهـ.

وقيل: فإن اقتصر الإنسان على ما يعنيه من الأمور، سلم من شر عظيم، والسلامة من الشر خير[8].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله : إن من لم يترك ما لا يعنيه، فإنه مسيء في إسلامه[9].

وقال ابن القيم رحمه الله : وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم الورع كله في كلمة واحدة، فقال: ((من حسن إسلام المرء: تركه ما لا يعنيه))، فهذا يعم الترك لما لا يعني: من الكلام، والنظر، والاستماع، والبطش، والمشي، والفكر، وسائر الحركات الظاهرة والباطنة، فهذه كلمة شافية في الورع[10].

قال عمر بن عبدالعزيز: من عد كلامه من عمله، قل كلامه فيما لا ينفعه.

وقال الحسن البصري: علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه.

وقيل: من سأل عما لا يعنيه، سمع ما لا يرضيه.

وقال معروف الكرخي: كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله تعالى.

وقيل للقمان: ما بلغ بك ما نرى؟ يريدون الفضل، قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يعنيني.

وقال الشافعي: ثلاثة تزيد في العقل: مجالسة العلماء، ومجالسة الصالحين، وترك الكلام فيما لا يعني.

وقال محمد بن عجلان: إنما الكلام أربعة: أن تذكر الله، وتقرأ القرآن، وتسأل عن علم فتخبر به، أو تكلم فيما يعنيك من أمر دنياك.

مشاهد في الاسلام

عنصر أساسي في الوجود البشري

المرأة الصالحة في القرآن الكريم

خلق الله – تعالى – آدم من طين، ثم جعل نسل البشرية كلها من آدم وحواء (ذكر وأنثى)، فالمرأة عنصر أساس في الوجود البشري، ولها شأن في ذلك أكبر من دور الرجل؛ فهي التي تحمل أفراد البشرية في بطنها، وهي التي تتحمَّل الآلام في هذا الحمل، ومن ثَمَّ عند الوضع، ويستمرُّ دورها الفعَّال والمتميِّز بتقديم الغذاء والرعاية والعناية بالصِّغار؛ حتى تشتدَّ أعوادهم وتَقْوَى سواعدهم ويستغنوا عن الرعاية.

وقد كان للمرأة في القرآن الكريم دَوْرٌ في توجيه الأحكام إليها وتلقيها لهذه الأحكام الإلهيَّة، كما أن لها ذكرًا في كل مجال يذكر فيه العمل والأجر (للرجل والمرأة) فالله – تعالى – يقول: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: 97].

وكذلك يقول: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 35].

فهنَّ مثل الرِّجال في الأعمال الصالحة وفي الأجور والجزاء في الدنيا والآخرة، فالنساء شقائق الرجال كما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بل هن مُخاطبات في كل أمر أو نهي يُوَجَّه إلى الناس أو إلى المسلمين أو المؤمنين أو الذين آمنوا – من باب تغليب الرجال على النساء في اللغة – وإذا كان لهنَّ هذا الحضور العامُّ في كل خطاب للناس فإن لبعضهنَّ حضورًا خاصًّا في بعض آيات القرآن الكريم.

فقد تحدَّث القرآن الكريم حديثًا خاصًّا عن بعض النساء الصالحات أو غير الصالحات، وخصَّهن بالذِّكر، وقد بلغ عدد النساء اللاتي تحدَّث القرآن الكريم عنهن حديثًا خاصًّا وبذكر الاسم أو الصفة سبع عشرة امرأة، ثلاث منهن كافرات طالحات، وأربع عشرة منهن مؤمنات صالحات، أمَّا النساء الكافرات الطالحات فهن:

امرأة نوح:

وردت إشارات غير مباشرة عنها في قول الله – تعالى –: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ [المؤمنون: 27].

ففي قوله – تعالى –: ﴿ إِلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ﴾ [المؤمنون: 27]، إشارة عامَّة إلى الذين لم يؤمنوا بدعوة نوح – عليه السلام – من أهله؛ وهما ابنه وامرأته، كما يُفهم ذلك من آيات أخرى صرَّحت بذكر امرأة نوح، وذلك في قوله – تعالى –: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ [التحريم: 10].

فامرأة نوح مثَّل للذين كفروا، وهي على رغم كونها زوجة لصفيقة بزوجها نوح، لم تفتح قلبها لدعوته، وبقيت على ضلالات قومها، وتعلقها بأصنامهم المتعدِّدة، وكانت بذلك قد خانت زوجها ودعوته، واستحقت بذلك عقوبتين:

الأولى: في الدنيا إذ غرقت مع الغارقين.

والثانية: في الآخرة: فكانت من أهل النار.

ولنا في هذا الموقف عظة وعبرة كبيرة، فإن الصلة الأسرية بالنبي أو بالصالحين من عباد الله لا تُعطي صاحبها أفضليَّة على الآخرين ولا درجة ولا قبولا في الآخرة؛ ولذلك قال الرسول – صلى الله عليه وسلم –: ((... اعملوا؛ فإني لا أغني عنكم من الله شيئًا)).

فأقرباء النبي – عليه السلام – وأقرباء الصحابة أو ذوو الشأن والعُلماء، لا يُغني عنهم هؤلاء من الله شيئًا، ما دام نبي الله نوح لم يغنِ عن زوجته شيئًا، ولم يمنع عنها عذاب الله، أمَّا إذا كانت مؤمنة صالحة وهي زوجة لنبيٍّ فسيكون أجرها – بإذن الله – مضاعفًا، وكذلك كلُّ مَن له صلة قرابة بالصالحين لا يستغني بهم عن عمله الصالح أبدًا، وإذا وصل الأمر إلى حدِّ الكفر فلن تكون له شفاعة.

– امرأة لوط:

وهي مثَل آخر للذين كفروا، ولم يغن عنها كونها زوجة لنبيٍّ من أنبياء الله ما دامت غير مؤمنة برسالته، وهي في هذه الآية السابقة حكم عليها بالكفر صراحة، وقد ورد ذكرها بصورة واضحة في ثماني آيات أخريات من سُوَر متعدِّدة، وكلها يحكم عليها فيها بعدم السلامة من عذاب الله في الدنيا، وأنها سيُصيبها ما يُصيب قومها من عذاب الله ﴿ ... فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ... ﴾ [هود: 81].

والآيات الباقيات تجعلها مُستثناة من النجاة من عذاب الله في الدنيا، فقد تكفل الله للوط وأهله بالنجاة؛ قال الله – تعالى –: ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ [النمل: 57]، ﴿ إِلا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ [الحجر: 60]، ﴿ إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ [الأعراف: 83] [العنكبوت: 22]، ﴿ إِلا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ [العنكبوت: 33]، ﴿ إِلا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴾ [الشعراء: 171]، [الصافات: 135].

امرأة أبي لهب:

وهي زوجة عمِّ الرسول – صلى الله عليه وسلم – (عبدالعزَّى) الذي كان يُؤذي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتشاركه في ذلك زوجته، أذى ماديًّا بنثر الشوك في طريق الرسول – عليه السلام – وهو جارٌ لهم، وأذى معنويًّا عندما عملا على تطليق ابنتيه اللتين قد خطبتا لولديهما.

وهذه المرأة هي المعروفة بأمِّ جميل حمَّالة الحطب، كما وصَفها القرآن الكريم، وقد خصَّها الله – تعالى – مع زوجها بإحدى قصار السُّوَر وهي سورة المسد: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ × مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ × سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ × وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ × فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾ [المسد: 1-5].

وإذا كانت امرأة نوح – عليه السلام – تمثِّل الذين كفروا في أوائل الجنس البشري، فإن امرأة لوط تمثِّل هذه الطائفة الكافرة في أواسط الجنس البشري، وتأتي امرأة أبي لهب لتكون هي وزوجها مثلا لمن يكفر بالله وبرسوله ويعمل على أذى الرسول – صلى الله عليه وسلم – في أواخر عمر الجنس البشري ليكون نصيبها في الآخرة نار جهنم التي سيصليانها، ولن تغني عن أبي لهب قرابته من رسول الله – عليه السلام – وهو عمُّه، ولن تغني عنه أيضا وعن زوجته بعض الأعمال التي ظاهرُها في أعين الناس أنها خير؛ كإعتاقه جارية له عندما بشَّرته بمولد محمد – صلى الله عليه وسلم – وهمُّه أن يحمي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد وفاة عمِّه أبي طالب.

فهذه أعمال غير صادرة عن إيمان بالله؛ فهي إذا هباء منثور، وهكذا تكون قد استعرضنا هذه النماذج الثلاثة لنساء كافرات خصَّهن الله بالذكر في القرآن الكريم؛ لتكون نهايتهن في الدنيا وعقابهن في الآخرة دروسًا وعظات يُعتبر بها أولو الأبصار.